الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: الثانية ليسانس

المادة: المدارس اللسانية

التخصص: دراسات لغوية

المحاضرة رقم 07 من 14

عنوان المحاضرة: المدرسة الوظيفية الفرنسية

يعد "أندري مارتيني" مؤسس هذا الاتجاه الوظيفي. وقد ولد سنة 1908 في فرنسا، وتخصص في اللغة الألمانية، وشغل منصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدروس العليا في باريس، وهو يعمل في جامعة السوربون منذ 1960.

ويعتبر الوظيفيون أن دراسة اللغة هي البحث عن الوظائف التي تؤديها أثناء تواصل أفراده، ولقد تولد هذا الاتجاه عن الأعمال التي اهتمت بدراسة الظواهر الصوتية في إطار ما يعرف بالاتجاه الفونولوجي الذي ظهر على يد تروبتسكوي، وطور على يد جاكبسون وحلقة براغ[1].

يمكن القول بأن مارتيني يعتبر اللغة نتاجا إنسانيا ووسيلة ناجعة للتواصل بين الأفراد والمجموعات، ويعترف باختلافها من جماعة إلى أخرى، إلا أنها تلتقي جميعها في وظيفتها الأساسية المنوطة بها وهي التواصل، وإن كان قد أشار إلى وظائف أخرى اعتبرها ثانوية، ثم أكد أن اللغة بنية يستعملها الإنسان ليترجم بها خبراته وواقعه ويسعى بها إلى تلبية حاجات التواصل دون أن ينفي عنها التطور عبر الزمن، ومن هنا يطرح مارتيني دراسة بنية اللغة في إطار الوظائف الكفيلة بها، وذلك للوقوف على آليات عملها وكيفية نقلها للتجارب والخبرات الإنسانية، ثم يعرج –في

[1] .ينظر: شقيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص17

تحليله وتعريفه للغة الإنسانية عموما –بأنها تملك خاصية التمفصل التي تسمح بتجزئة المتوالية اللغوية إلى وحدات ذات محتوى دلالي وصورة صوتية (المونيمات)، وهذه الوحدات هي الأخرى تتكون من وحدات محددة، متوالية تسمى (الفونيمات) ذات عدد محدود في كل لغة، حيث تختلف في طبيعتها وعلاقتها بعضها ببعض من لغة إلى أخرى[2].

من هنا نستخلص أن هذا الاتجاه يقوم على مفهوم الوظيفة، ومنه جاءت تسميته، إذ إن الباحث هو الذي يسعى إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب؛ أي إنه يبحث عن الوحدات التي يمكنها تغيير المعنى كلما استبدلت بأخرى، فتغيّر معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها وظيفة. وعليه فإن المعنى والوظيفة هما جوهر اهتمامات المدرسة الوظيفية.

وبناء عليه فإذا أراد الباحث تحليل مدونة لسانية تحليلا وظيفيا عليه أن يحصي مجموعة من الوحدات اللغوية، ثم يقوم بترتيبها من حيث الشبه والاختلاف، أي يفابل بينها، كي تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية أي وظيفتها.

ومثال ذلك:

جاء/ محمد

كتب/ محمد

سافر/ محمد

يتبين من هذا المثال أن هناك ثلاث وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء، وهذا التقابل بينها هو الذي يعكس الفوارق الدلالية بينها، مما يؤكد أن لكل كلمة وظيفة داخل التركيب.

[2] - ينظر: موسى لعور، قراءة جديدة لظاهرة التمفصل المزدوج عند أندري مارتيني، مجلة آفاق علمية، العدد 11، 2019، ص522-523.

وينطبق هذا المنهج أيضا على المستوى الصوتي، فلو أخذنا هذه الوحدات المورفولوجية: قام- نام- عام ثم قمنا بتقطيعها إلى فونيمات وهي أصغر الوحدات غير الدالة لاتضحت جليا الفوارق والتشابه، وهذا التقابل بينها يؤكد تلك الوظيفة التي يؤديها الفونيم في التركيب، وهي القدرة على تغيير معاني الكلمات[3]

التقطيع المزدوج:

إن من أهم المبادئ التي تبنى عليها أعمال مارتيني وهو الميزة التي تباين الأنظمة اللسانية البشرية عن التنظيمات الاتصالية الأخرى كلغة الحيوان والطبيعة والإشارات.

وقد استطاع مارتيني أن يبين بأن أي لسان بشري يمكن أن يتمفصل إلى مستويين؛ الأول يكمن في وحدات تحمل صورة صوتية ودلالية وهو ما سماه "المونيم"، والمستوى الثاني يكون بتحليل الصورة الصوتية للمونيم إلى وحدات متوالية مميزة له عن غيره من المونيمات سماها الفونيمات.

الفونيم:

يعرف مارتيني الفونيم بأنه عبارة عن أصغر وحدة تمييزية يمكن التعرف إليه عن طريق العلاقة التي تربطه بالعناصر المجاورة له فالفونيم/t/ هو وحدة تمييزية للمونيم tête عن المونيم bête الذي يتميز هو الآخر بالفونيم/ b/ كما ينص مارتيني بأن الفونيم يختلف عن الصوت وعن الحرف، وبأن الفونيمات فيما بينها تتميز عن بعضها البعض بما سماه la pertinence أي الفونيم المناسب في المكان المناسب ودرجة تأثيره في السلسلة الكلامية، وللتعرف عليه نقوم بعملية العزل والاستبدال؛ التي تتبعها عملية معقدة لتحديد كل فونيم، تلك الوحدة الصوتية الوظيفية الصغرى التي تستمد أهميتها من الوظائف التي تقوم بها الوظيفة التمييزية[4].

---

[3] - ينظر: شقيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص17-18.

[4] - ينظر: موسى لعور، قراءة جديدة لظاهرة التمفصل المزدوج عند أندري مارتيني، ص 527.

المونيم:

وهو أصغر وحدة صوتية دلالية؛ أي له دلالة في حدّ ذاته.

مثال: قرأت الكتاب كله

يمكن تقطيع هذه العبارة إلى أصغر وحدات دالة أي إلى مونيمات، وتكون كالآتي:

قرأ/ ت/ ال/ كتاب/ كل/ ه

وتجدر الإشارة هنا أنه لا يمكن تقطيع المونيم إلى أكثر من وحدة دالة، فالمونيم "كتاب" له دلالة، في حين لو قطعناه إلى: كتا/ ب تفقد كل وحدة دلالتها.

التقطيع الثاني: وهو ينطلق من نتيجة التقطيع الأول ليقوم بتحليل المورفيمات إلى فونيمات؛ أي إلى أصغر الوحدات الصوتية غير دالة.

مثال: قرأت الكتاب

قرأ/ ت/ ال/ كتاب التقطيع الأول

التقطيع الثاني: ق+ فتحة+ر + فتحة+أ+ ت+ ضمة+ ا+فتحة+ ل+ ك+ كسرة+ ت+ فتحة (مد)+ ب+ فتحة.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح التقطيع اللغوي بصفة عامة؛ أي ظاهرة تمفصل اللغة إلى مستويات، لم تظهر عند مارتيني أول الأمر فقد نص أرسطو بأن الصوت اللغوي البشري يتميز عن صوت الحيوان، كونه قابل للتمفصل ، كما أن دي سوسير أشار إلى الأمر مؤكدا أن الكلام يمكن تجزئته إلى مجموعة من المقاطع[5] ، فمارتيني –إذن– لم ينطلق من فراغ، بل استفاد ممن سبقه خصوصا محاضرات دي سوسير، فهو متأثر بالمنهج البنيوي في تحليله للظواهر اللغوية، وبالتركيز على هذه الخاصية صاغ نظرية لسانية أثبتت نجاعتها في التعامل مع هذه الظواهر، وهو ما يتجلى في قوله –في الفصل الألول من كتابه– حين اعتبر أن ظاهرة التمفصل

[5] - ينظر: محمد الفتحي، "انتظام مستويات اللغة في اللسانيات البنيوية"، مجلة تباين، العدد 11، ض70.

معلومة عند الأغلبية، ثم حدد نوعية هذا التمفصل، وكيف يكون، حيث يضيف بأنه يكون على مستويين. ومحاولة منا لتقريب الصورة نقوم بتشبيه اللغة بالجسد؛ الذي يقسم إلى أعضاء بحسب المفاصل وذلك على مستويات، مثال المستوى الأول يجزأ الجسد إلى رأس، جذع، يدين، ورجلين، أما المستوى الثاني فيمكن تقسيم الرجل – مثال– بحسب المفاصل إلى فخذ، ساق ، قدم... [6]

[6] - ينظر: موسى لعور، قراءة جديدة لظاهرة التمفصل المزدوج عند أندري مارتيني، ص 523.